

عبد الله بن عبد الرحمن  
معه ابنه عبد الله  
في ١٨٥٠

# الغاني الغريب



نجيب الكيلاني

أغاني الغرباء

حقوق الطبع محفوظة

الطبعة الأولى  

---

١٣٩١ هـ - ١٩٧٢ م

# أفخاني الغرباء

شعر  
نجيب الكيلاني

« ... طوبى للغرباء ... »

## كلمة

إن الغربة واقع نفسي مرير ، وأكثر الناس إحساساً بها هم الفنانون وحملة المبادئ ، ومن ثم يزداد الشعور بالغربة كلما تطرفت المبادئ أو ازدادت حساسية الفنان ، وإن صح اعتباري واقعاً تحت وطأة الحالين ، فإن هناك عاملاً ثالثاً لا يمكن إغفاله ، إذ أن له أعمق الأثر في كل ما كتبت من شعر ونثر ، ألا وهو بقائي في السجون لمدة طويلة ، وأنا في أعنف سنوات عمري حماسة وانفعالاً وطاقة ..

لقد فكرت في نشر نتاجي الشعري وأنا في سجن القاهرة في عام ١٩٥٧ ومن ثم لم يتيسر لي جمع ما سبق كتابته قبل عام ١٩٥٥ ، والحقيقة أن أغلبه قد ضاع في خضم الأحداث الكبرى التي اجتاحت حياتي في تلك الفترة الحاسمة ، ولم يقف ذلك حائلاً دون إصدار تلك المجموعة التي كتبتها كلها في أيام السجن الأولى ، ومن ثم فلا غرو إذا تشابهت محتوياتها الفنية ، وملاحمها الشعورية ، وغصت بالكثير من الآلام والدموع والذكريات المريرة ، إلى جانب ما تنبض به من توهجات نضالية ، وصراعات مريرة ضد عوامل اليأس والضياع والأسى في كثير من الأحيان ..

ولقد حاولت أن أنشر بعض هذه القصائد في المجلات الأدبية ،  
فقدمتها إلى مجلة الأدب خاصة ، وكذلك إلى غيرها من المجلات ،  
ولم أحاول أن أنشرها كاملة لظروف معينة ، فنشرت أجزاء من  
هذه القصائد ، مثل « في الوادي الرهيب » و « يا بدوي » ،  
و « القلندري » وقصيدة « عيد الأم » و « وردة أمام حجرة الإعدام »  
و « غداً نلتقي » ، و « أغاني الغرباء » و « فتى اللد » ... الخ ، ولهذا  
أراني مضطراً أن ألفت نظر القارئ إلى أن القصائد التي قرأها في  
بعض المجلات لم تكن كاملة .. وإني إذ أحرص على نشر هذه  
الأشعار ، إنما يدفعني إلى ذلك واجب لا أستطيع الإفلات منه ، وهو  
أن تلك القصائد إنما هي قطعة من تاريخ ، وتعبير عن حالة ، وصورة  
صادقة بلحو ... عشت هذه الأشعار بكل ما فيها من يأس وأمل ،  
وفرح وترح وصعود وهبوط وعوز وظلمات وقوة وضعف  
عشتها بما تترنم به من نفثات الغربة القاسية وأهوالها العنيفة .. عشتها  
بما يضج فيها من تساؤلات حائرة ، وأمنيات قاصرة ، وأحلام عاجزة  
متعثرة ..

لقد حاولت أن أكون صادق التعبير عما يعتمل في نفسي طوال  
تلك الفترة القاسية ، رفضت الزيف وبريقه الأخاذ ، ومن ثم فإني  
فخور بتقديم التموج النفسي لذاتي وما يصاحبه من شتى المشاعر  
والانفعالات ، فالإنسان الذي لا يعرف الدموع ، ولا يعترف بمرارة  
الآلام ، ونوازع الضيق والأسى ، إنسان لا وجود له في عالم الواقع .

اني لا أفخر بما في هذه الأشعار من بلاغة ، فمن الشعراء من

هو أبلغ مني بكثير ، ولا أتيه بما تحويه من أفكار ، فهناك من هو أعمق وأخصب . ولكني فخور - جـد فخور - بما تحمله من صدق ، وما تهدر به من شحنات عاطفية أمينة في تعبيرها عن ذات إنسان يتعذب ، ويقاسي من الغربة والقهر والعناء ..

ألا ما أكثر الغرباء في أيامنا ... إنهم يصرخون .. ويحذرون .. لكن هدير المادة ، ومباهج الحياة الحديثة ، وما تنضح به من انحلال وانحرافات واستهتار وفلسفات عقيمة ... أقوى بكثير من صراخ الغرباء وتحذيرهم .. فطوبى للغرباء ...

نجيب الكيلاني



## في الوادي الرهيب

١

أبي قد راح « محمود » الى وادي النوى القاسي  
فهل سيعود يا أبتى حديد العزم والباس ؟  
وطلعت .. وبسمته .. أتبقى ذات إيناس ؟  
أعلم شوقي المهتاج يا أبتى وإحساسي ؟  
فؤادي مفعم بك وعفت مرارة الكاس  
وروحي يا أبتى سكرى بخمر الحزن والألم -  
أبي ما بالنا نمضي وروح الحق مقهوره  
وأحلامي وآمالي بسجن الليل مأسوره  
يُقال الناس أحرار ودنيا الناس مهدوره  
أريد الفجر بسّاماً وأعشق يا أبتى نوره  
قطيع نحن يا أبتى : ولا فرق سوى الصوره  
سياط القهر تدفعنا لوادي العسف والنقم -  
أبي ما زلت أذكره وعود شبابه اليانع  
وأذكر أننا كنا نفيء لظله الرائع

وكان حديثه الرقراق نبع السحر للسامع  
ومحمود له قلب كبير ... يا أبي .. واسع  
هو المتبوع يا أبتى وليس الحر بالتابع  
هو الحب .. هو النبل .. وغيث الخير والهمم -

سمعت الناس قد قالوا أخي قد صار مسجوناً  
فمن سجنوه يا أبتى فذاق الذل والهوانا  
وما في قرיתי السمحاء أعداء ليؤذونا  
أما عرفوه إنساناً .. وجواداً ... ومأموناً ؟  
فكيف يصير يا أبتى بعسف القيد مرهوناً ؟  
وأمي لم تزل تدعوه في صحوٍ وفي حلم -

أبوها قال : يا ليلي .. إله الكون يرعانا  
وليس سواه يسمعنا نبث إليه شكوانا  
إذا ضاقت بنا أرض ، فعند الله مأوانا  
بلوت الدهر يا ليلي بماضيه الذي كانا  
فلم أرَ غير خالقنا يخفف من رزايانا  
فربُّ الناس يا ليلي قوي .. جدد منتقم -

أخوك الحر يا ليلي أراد الناس أحرارا  
ويكره سيمة العبدان والإذعان إن سارا  
ويمقت شيعة الطغيان أن تبقى لنا جارا  
أقاموا في طرائقنا ، وحول الفكر أسوارا  
هم الذؤبان يا ليلي أثاروا البغي والعارا  
فأقسم أن سيقهرهم ، وكان البرّ بالقسم -

فقلت : كيف يا أبتى يجازي الحرّ إن آبا ؟  
ألبس تاجه البراق يخطر فيه إعجابا ؟  
ألقى بعد صولته أخلاّء وأحبابا ؟  
أجل .. بالطبع يا أبتى .. فما عيّننا ولا عابا  
فقيم السجن يلقفه ويملأ كأسه صابا ؟  
تكلم يا أبتى .. أفصح لتخمد جمرة الألم.

دعيني الآن يا ليلي ، فأمر الناس في عجب  
فما أكثر ما نلقى ، بلا داعٍ ولا سبب  
وكم صادفت في دهري ، فنون الغدر والكذب  
وكم في القلب .. وأسفا .. من الآهات والنُذْبِ  
سبقي الناس يا ليلي ضحايا العسف والرهب  
فصاحت : كيف أبتى ؟ وما أسطورة القيم ؟

بكي المظلوم لم يلفظ سوى آهات ولهان  
وفي دمع الأسى المكبوت إرصادات طوفان  
أيجدي القول والأطفال مثل بلابل البان ؟  
حياتهمو خيالات ، وإرهاصات وسنان  
كأن العيش أغنية .. وحب خالد .. هاني  
فصاحت : كيف يا أبتى ؟ أتبكي صنعة القيم ؟

فكفكف دمة هطلت .. وكور كفه الأسمر  
وحملق في الدجى الساجي خلال إطاره الأغبر  
وصاح وكفه تهوي هوي الصخر أو أكبر  
على اللاشيء يضربها .. فكم قاسى .. وكم أبصر

وقال وصوته دوى دوى العصف إذ يزار  
 سنسحق عصابة الطغيان والبهتان والألم -  
 كفى ليلي .. كفى سؤلاً .. دعي الدنيا وما فيها  
 فقلبك لم يزل يحبو صغيراً في روابيها  
 ومحمود غداً . يأتي . لقريتنا وناديا  
 لأمتة ... لغايته .. لجذب الأرض يرويها  
 غداً تعلو منائرهما ، غداً تزهى معانيها  
 وحيث سناه يغمـرنا كفيض الساكب - العمم -  
 أجل سيعود يا ليلي ، ويحمي ركه القدر  
 وأجل ورفاقه معه ، فجيـش الحق منتصر  
 فهم زحفوا ، وهم وثبوا . وهذا الليل معتكر  
 وكم لاقوا بعتمته من البلوى وكم صبروا  
 لقد عاشوا لأمتهم فللرحمن ما .. بذروا  
 « أجل .. سيعود يا ابتي .. وتحمد جمرة الألم -

\* \* \* \*

## ٢

« ... ولم يعد محمود إلا أشلاءً ممزقة ، لقد مزقته أنياب  
 الغدر في ظلمة السجون الرهيبة ، فسال دمه الحر على أديمها  
 الظامى فعاتت ليلي إلى أبيها تترنم بأبياتها الحزينة .. »  
 أبي قد عاد محمود ، ولكن عاد أشلاء  
 ترفاً على مواكبه هنا الرايات حمراء

مضى محمود مثل الصوت حين يذوب أصداء  
 غدا أسطورة بيضاء .. في التاريخ سمحاء  
 دهنتي النكبة الكبرى ، فناء القلب إعياء  
 جنيت من الهوى المشبوب يا أبتاه حرمانا  
 أهم ذبحوه يا أبتى فضج نجيعه القاني ؟  
 أهم شنقوه في ليل شحيح النور شيطاني ؟  
 أهم حرقوه في وادٍ بنار الحقد ملآن ؟  
 مضى كالسمة الزهراء تخنقها يد الجاني  
 فراح الشوق في جسدي وماجت فيه اشجاني  
 وأبْتُ ألوك آلاماً .. وآهات .. وحرمانا  
 أتذكر يا أبتى لما شدوت بغنوة الأمل  
 وقلت لنا غداً يأتي ، ويضرب أروع المثل  
 صبرنا يا أبتى حتى خشيت عليك من ملل  
 وخفت غياب محمود الى أن ينطوي أجلي  
 وتمسى نضرة الدنيا لدى عيني كالطلل  
 ومر العمر يا أبتاه أحزاناً وحرمانا  
 وأرض العسف يا أبتاه لا تصغي لآلامي  
 بنا قوم قد ارتفعوا بأوزار .. وآثام  
 زوت في زحمة البهتان والطغيان أحلامي  
 وأدمى الشوك في الظلماء أظفاري وأقدامي  
 فزادت رغم طول الصبر أوهامي وأسقامي  
 أفتش لا أرى إلا جوى يكوي وحرمانا

وها قد عاد محمود ، ولا مجد ولا فخرُ  
فأين العدل يا أبتاه ؟ أين الوعد والنصرُ ؟  
أنحي يا أبي موتى يورق عيشنا القهرُ ؟  
لقد كثرت رزايانا ، فليس يحيطها حصرُ  
يُشاد لفاجر قصر ، ويُنبي للهدى قبرُ  
أكان نصيبنا في العيش يا أبتاه حرمانا

تكلم يا أبي .. قل لي .. فعقلي لم يزل يجهلُ  
لقد أصمى الأسى قلبي ، فماذا في غد نفعلُ  
ألقى الناس يا أبتاه في دنياي لا أنجملُ ؟  
ومحمود الذي أمسى شهيد القيد والمعولُ ؟  
أزرف خلفه دمعي ؟ أيكفيني البكا الأعزلُ ؟  
أصار جزاء صولته تباريحا وحرمانا ؟

غريب أنت يا محمود في كهف من الغدرِ  
غريب .. أرهقت زنديه دنيا القهر والشرِ  
يدافع موجهاً الطاغى في يد وفي حذرِ  
غريب أنت في قوم أعدوا الغيل للحرِ  
فرحت تجرجر الأغلال .. تضرب قاسي الصخرِ  
تلاقى أينما تمضي تهاويلاً وحرمانا

أبي .. عجباً .. قد اختلت بدنيانا الموازينُ  
إذا ما أبصروا حسكاً لقالوا عنه نسرِينُ  
قوام حياتنا السوداء إليهم وتلقينُ  
برمنا يا أبي بالصبر .. بعض الصبر تسكينُ

وشعبي مرغم .. بالك .. كسير القلب .. مسكين  
 يروى قلبه الظامى .. أوهاماً وحرماناً  
 أفاق الشيخ من حُلُم رهيّب مفعم قاسي  
 وفي عينيه إصرار مرير العزم والبأس  
 وأنفاس محشجة .. تضج .. كقرع أجراس  
 وحقد كاللظى الموتور في آفاق « أوراسي » (١)  
 وثأر أحمر الأنياب .. يمضي خلف نبراسي  
 أفاق فأبصر الأكوان أحزاناً وحرماناً  
 وهب كغضبة الإعصار كي يقتل .. كي يهدم  
 ويثأر لليالي السود ذات الطالع الأشأم  
 ويثأر للدم المهرق فالطغيان لم يرحم  
 وينفخ في لهيب الثأر لا يهدأ ولا يحجم  
 لكم سفكوا دمّاً حرّاً بلا جرم ولا مآثم  
 وفاضت من مظالمهم دروب الارض حرماناً  
 وودع خلفه ليلي لتنعى حظها الدامي  
 ومحمود الذي صرعوه غدرّاً منذ أيام  
 وحلماً طاف جذّاباً .. توارى طيّ إيهام  
 درينا من تهاويل وأحزان وأسقام  
 وشعب عاثر الآمال في ذل وإظلام  
 يعيش يلوك آلاماً وآهات وحرماناً

١٩٥٧

(١) جبل شهير بالجزائر ، لعب دوراً خطيراً في الثورة الجزائرية .

## وردة أمام حجرة الإعدام

أيسم تُغرك الوضَاء للأيام جذلانا ؟  
أيرقص جيدك الميَّاس للأنداء نشوانا ؟  
ويهمس عطفك الريَّان للأنسام هيماننا ؟  
ويومض لاجع الأشواق في عينيك تحناننا ؟  
فأفيقي وانظري الدنيا بعين تبصُرُ  
واقذني بالكأس تنجي من زعاف يُشكرُ  
فحمرك خدك الفتان في كفتي تشتعلُ  
وهائج شوقك المجنون لم يلحظه مرتحلُ  
يرى في بسمك المخبول غدر الدهر يعتمل  
يرى في لونك الباهي دماً .. والناس قد جهلوا  
فأفيقي وانظري الدنيا بعين تبصُرُ  
واقذني بالكأس تنجي من زعاف يسكرُ  
أتضحك « وردة المبكى » وحبل الموت عن كُشْبِ ؟  
وتشمخ فوق أتراب بثوب زائف قُشْبِ ؟  
وأنسام تغازلها ؟ .. أما حنَّت لمغترِبِ -



ففيهي كيفما تهوين جبل رداك عن كذب

وأفريقي وانظري الدنيا بعين تبصر

واقذني بالكأس تنجي من زعاف يسكر

سأقسو وردة المبكى وأسهب في ملاماتي

رأيتك في كرى عني ، وعن محزون أناتي

كأنك صغت من عبث ومن جور وإعنات

فأين شذاك إذ يهفو طليقاً من شكاياتي

فأفريقي وانظري الدنيا بعين تبصر

واقذني بالكأس تنجي من زعاف يسكر

حسبتك وردة المبكى من الأحلام تصحينا

لكي ترثي لدى شجو ثوى في اليأس مسكينا

رأيتك وردة المبكى مع الأحلام تسرينا

وخلت بكاي إذ يهمي عليك ندى جرى حيناً

فأفريقي وانظري الدنيا بعين تبصر

واقذني بالكأس تنجي من زعاف يسكر

تعالى وردة المبكى ، فعندي حكمة الأبد

ولست أقولها زهواً فما تخفى على أحد

جمال" كلها الدنيا إذا مس الرضا خلدي

ويأس إن طوى قلبي ظلام البؤس والنكد

فأفريقي وانظري الدنيا بعين تبصر

واقذني بالكأس تنجي من زعاف يسكر

أَتَعْقِلُ وَرْدَةَ الْمَبْكِيِّ حَدِيثَ الثَّائِرِ الْبَاكِي  
وَتَلَحُظُ فِي مَقَاطِعِهِ ضِرَاعَ الْعَاتِبِ الشَّاكِي  
أَيُّرَقًا دَمْعِي الْمَلْتَاعَ إِشْفَاقًا بِيَمْنَاكَ  
أَلَا شَتَانٌ إِذْ لَيْسَتْ كَدُنْيَا النَّاسِ دُنْيَاكَ

لَا تَفِيقِي وَانْظُرِي الدُّنْيَا بَعِينَ تَحْلُمُ  
وَاسْكِي الْكَأْسَ عَلَى ثَغْرِ شَغُوفٍ يَبْسُمُ  
لِيَبْسُمُ ثَغْرُكَ الْوَضَاءُ الْأَيَّامُ جَذَلَانَا  
لِيَرْقُصَ جِيدُكَ الْمَيَّاسُ لِلْأَنْدَاءِ نَشْوَانَا  
لِيَهْمَسَ عَطْفُكَ الرِّيَّانُ لِلْأَنْسَامِ هَيْمَانَا  
لِيَوْمِضَ لَاعِجُ الْأَشْوَاقِ فِي عَيْنِكَ تَحْنَانَا

لَا تَفِيقِي وَانْظُرِي الدُّنْيَا بَعِينَ تَحْلُمُ  
وَاسْكِي الْكَأْسَ عَلَى ثَغْرِ شَغُوفٍ يَبْسُمُ  
عَلَى طَلَلِ الْهَوَى الْبَالِي عَصَفَتْ بِكُلِّ أَوْتَارِي  
وَقَمِمْ سَحْرِي الْحَالِي هَوَى فِي تَقَاعِ أَبْحَارِ  
فَلَا إِيقَاعَ أَنْمَلَةَ ، وَلَا أَحْلَامَ أَسْحَارِ  
وَلَا فَجْرَ لَيْلِهِمْنِي وَلَا تَرْجِيْعَ أَشْعَارِ

لَا تَفِيقِي وَانْظُرِي الدُّنْيَا بَعِينَ تَحْلُمُ  
وَاسْكِي الْكَأْسَ عَلَى ثَغْرِ شَغُوفٍ يَبْسُمُ  
هِيَ الْأَيَّامُ - لَوْ تَدْرِي - تَجُودُ لَنَا لَتَسْتَلْبَا  
لَهَا فِي عَمْرُنَا الظَّامِي مَطَامِعَ لَمْ تَزَلْ عَجْبَا  
وَتَبْغِي فِي نَضَارَتِنَا وَفِي آمَالِنَا إِرْبَا

أندري زهرة المبكى لعسف زماننا سببا  
لا تفيقي وانظري الدنيا بعين تحلم  
واسكي الكأس على ثغر شغوف يسم

١٩٥٦

## القلندري الجديد...

«القلندرية طائفة من الصوفية ، لها بعض انحرافات ، كان دراويشها يخلقون رءوسهم ولحاهم ، وينطاقون في آفاق الأرض دون التقيد بوطن ، وجاء الشاعر الفيلسوف « محمد اقبال » ، وجعل من القلندري نموذجاً لفلسفته الجديدة ، ونفى عنه انحرافاتة وتهويماته ، بحيث أصبح تجسيدا لأفكار اقبال وفلسفته الإسلامية .. وهذه القصيدة التي قيلت في ذكرى اقبال قد استوحيتها من فلسفته العظيمة » .

الحب والزهد زادي      وكل أرض بلادي  
ومن ثراها وسادي      ولا أدين وربّي  
لحاضر أو لبادي  
وهبت للحق نفسي      ملأت بالصفو كأسّي  
لله صمتي وهمسي      وثورتي وسكوني  
وحاضري وتلاذي  
خلعت غني غروري      وعفت كل الشرور

هيهات أنسى مصيري حياتنا خفق برق  
أو قبضة من رمادٍ

إن ضاق كوني فقلبي رياض طهرٍ وحبٍ  
نادوا .. فكنت الملبى لهمهمات الضحايا  
في كل نجدٍ ووادٍ

ما حاجتي للمتاعِ وشاسعات الضياعِ  
إني نشرت شراعي في بحر عشق ووجد  
يفيض في كل نادٍ

شربت كأس شبابي نشوان بين صحابي  
أجوب عبر سرابٍ حتى تيقنت أنني  
أسيرُ ماءٍ وزادٍ

لو أدركوا ما الحقيقة وكنهه هذى الخليقة  
لشق كل طريقه الى عوالم أخرى  
الخلد فيهن حادي

إن تعثروا فطريقي ملأى بزهر عبيقٍ  
حيث الصفاء رفيقي والنور يضيء عليها  
غلالة من رشادٍ

دنياكمو مثل غابٍ مروّعٍ بالذئابِ  
لا حكم الا لنابٍ فيه وظفر خضيب  
يختال بين العباد

إن اعتناق السلامِ ديني ، وحب الأنامِ



## بائعة الحب

فجودي بما شئت أو قتري	أبائعة الحب لا أشتري
ولا هاجني نشوة الشاعر	فما شفي منك ذوب الجوى
إذا أشعلت بهوى نائر	ولن أستجيب لوهج الشفاه
ضحاياه كثر ولم تحصر	فغصنك ذاك الرطيب الوضيء
حطيم الأزاهر والمزهر	وكيف وأنت كروض مباح
شعاع لأظلم في محجري	لئن شع من ثغرك المستهام
وعفى على المثل الأكبر	شعاعك شق طريق الضلال

\* \* \* \*

ملوثة بالحناء الفاجر	فما أحلى رشفات الثغور
وفاق ولا جال في خاطري	أبائعة الحب ما بيننا
فديني سياج له .. فاحذري	إذا كان قلبي رحيب المدى
كما يُرصد الموت للغادر	على بابه قد رصدت العيون
ويقبل في خطوه العائر	ويا ويسح من قد يطوف به

\* \* \* \*

هوان إذا كان من تاجر	أبائعة الحب إن الهوى
----------------------	----------------------

أنخاسة أنت في سوقه  
فما ذاك حب ولكنه  
عهدت الهوى كالنضار الوضيء  
عهدت الهوى نغمة حلوة  
وبلبلة الدوح تشدو بها  
عهدت الهوى نفحة كلما  
وتحي صريع القلوب إذا

\* \* \*  
أريد الهوى الطهر في قدسه  
أريد النقاء على سفره  
أريد الصفاء على عهده  
وماضيك !! ماضيك ما تعلمين  
ليال هي الوحل مما جرى  
صرعت الفضيلة في سكرة  
وأوقظت بعد فوات الأوان

\* \* \*  
الله الله أوبي ولا تيأسي  
وروي الثرى بدموع التقى  
وعفني على أثر شائن

تبيعه بالرخيص الذري  
بضاعة سوء لمن يشتري  
أصيل المظاهر والمخبر  
بها الموج ينشد في الأنهر  
على نايتها الخالد العبقري  
تتوق لها النفس لم تصبر  
هوت كالخطام ولم تجبر

\* \* \*  
أو المجد في أفقه الزاخر  
وأبغى الولاء مع الأسطر  
يتيه برونقه ناظري  
لقد فاض كأسك بالداعر  
وماء على سترها الأغبر  
من اللهو والأمل الكافر  
فنوحي عنى الطلل الدائر

\* \* \*  
وعن فيئه الثر لا تدبري  
فدمع الذي تاب لم يهدر  
وقومي الى شيلوه أقبري



## حوار

« قيلت في عدوان ١٩٥٦ على مصر » .

الانجليزي :

أخي قد عادت الأيام بالآلام والثورة  
وأصدر « ايدن » المأفون في آجالنا أمره  
فهل حقاً « بنو التايمز » أمتهم هي الحره ؟  
لقد كذبوا .. فهم شربوا كؤوساً كدرة مره  
وباعوا الدين والدنيا وباعوا الحب والأسره  
وآبوا يلحقون الدمع والأشجان والحسره  
وإيدن وحده حر يؤجج شعله الحرب

الفرنسي :

أجل .. فالحرب غانية ، لها تيه وبسمات  
وإن الغيد - لو تدري - حقيقتهن حيات  
فمن حرب الى حرب ، وبالأحزان نقتات  
وصحبتنا وسامرنا ، أباديد وأشتات

و «جي موليه» قد تسبيه تيجان ودولات  
شعوب نحن ضائعة لنار الحرب أقوات  
وها نحن الى مصر لنطلق صيحة الحرب

الانجليزي :

أخي من نحن كي نحكم أو نطغى على الناس  
أمين أجل الذي منّت به الأقدار من بأس  
أنقلب فرحة الدنيا مآتم بعد أعراس  
لأن الله قوَّاناً ، ومكَّن « ايدن » القاسى !  
لم لا أترك الأجناس تحي مثل أجناس ؟  
أشعبي طينة أخرى تفوق معادن الناس ؟  
حبانا الله سلطانا لنوقظ هاجع الحرب

الفرنسي :

أخي أجدادنا ثاروا على الطاغوت فرسانا  
وكم خلعوا عن الباغين سلطانا وتيجانا  
وكم قذفوا زبانية لنهر « السين » شجعانا  
سطور المجد من دمننا تشع سناً ونيرانا  
أقاموا الحكم مرحمة وما جعلوه سجانا  
إذا ارتحلت طلائعنا سرت روحاً وريحانا  
ولكن يا لنا صرنا دعاة الذل والحرب

الانجليزي :

أخي أجدادنا كانوا طوال الدهر قرصانا  
فهم سرقوا .. وهم غصبوا طعام الناس ذؤبانا

طعام نحن من قدم ، دعاة الظلم مذ كانا  
وكم سام الدمع المسفوح في « باريس » طوفانا  
وباسم الثورة الكبرى أباحوا العسف ألوانا  
أرى في الأمس أو في اليوم آثاماً وبهتاناً  
وما فتئت بنا تلهو وحوش الغدر والحرب

الفرنسي :

صدقت أخي ... فقد كنا ، وما زلنا ، أذلاء  
أليس القبر أجدر بي وبالأحرار أشلاء ؟  
فلم نخلق لكي ننهش إخواناً أعزاء  
إنسان ولي ناب لقنص الناس أحياء  
ألا فليخسأ الإنسان ذو الأنياب منذ جاء  
فما شعبي سوى طاغٍ يذيق الناس إيذاء  
وما فتئت بنا تلهو وحوش الغدر والحرب

الانجليزي :

وكيف أموت والإرهاب باقٍ فوق أجيالي  
يعيد اللعبة الحمراء مدفوعاً بآمالٍ  
ويحجي الشعب في قهر يفتنه وإقلالٍ  
وحيث تراق أدمعهم لبعث نفوذه الحالي  
وحيث تموت آمالي وتخلد - بعد - أغلالٍ  
وحيث مواطن الشرفاء في قهر وإذلالٍ  
هناك تدق عالية طبول الغزو والحرب

الفرنسي :

إذا سنعيش كالموتى أو الآلات .. كالحجر  
ففي كف الأبالسة العتاة مصائر البشر  
نجيء بهم .. ونجلسهم على عالٍ من الشرر  
ونحميهم من الأنسام والأنفاس والنظير  
ونمنحهم مقاديرنا غداة الروع والخطر  
فإن ملكوا فقد صرنا ضحايا المطمع القدر  
وندفع يا أخي دفعاً لأرض النار والحرب

الانجليزي :

أخي ضلت بنا الأفهام والأوهام .. أواه  
وشرقنا .. وغربنا .. ولا مجد ولا جاه  
وقلبي دامع .. دام .. تضج لديه شكواه  
وعالمنا هو المتعوس .. في الأوحال رجلاه  
حضارته .. تمدينة .. تقدمه ... ونعماه  
أساطير وأحجية .. إذا لم يُعبد الله  
فرب الكون خالقنا .. وحامينا من الحرب

١٩٥٦

## عيد الهجرة...

ومسحت عن دمع جري هتانِ  
لحب الثناء وآية الشكرانِ  
فيض العطاء بساحة الرحمنِ  
ومحبة الإنسان للإنسانِ  
فيقال عنه هو الجليل الشأنِ  
وارتدت كل مداراة ومكانِ  
والفلسفات طريقها أبلاني  
والسير في جنباته أعياني  
وتسائلني الملحاح قد أضلاني  
ماذا وراء اللف والدورانِ ؟  
والحق منه منارة الأكوانِ  
أواه منبغي ومن نسياني  
هلا أزلت مرارتي وهواني ؟  
وتهاكت في الشر والبهتانِ

عيد أتى فأفقت من أشجاني  
وهتفت بالأمل الكبير وفي فمي  
ورفعت وجهي للسماء مؤملاً  
دنيا الحكيم الحق خير معرق  
أنا ما رأيت الحق يرفع صاحباً  
وجوّبت في الآفاق غير مقصّرٍ  
وملأت بالعلم الكثيف بصيرتي  
وظللت أبحث في الوجود وسره  
سألته عن كنهه وغموضه  
ماذا جنيت من التساؤل والأسى ؟  
آمنت أن الله أعدل حاكم  
يا ويح قلبي هل تشرب بالرضا ؟  
رباه ذا ضعفي وقلة حيلتي  
دنيا على الشط الكئيب تأرجحت

\* \* \* \*

فأنار بالبشر الوضيء كياني  
ومكائد الأيام والأزمان  
تأس غدوت يداً بغير يماني  
عذب الرواء معطر الألحان  
وبصادق التهليل جليجل ثانٍ  
ومع الدعاء حرارة الإيمان  
مثل الملائك في وريف جنانٍ  
فكبا عن الشدة الفريد لساني  
تبدو ، ويقصر دونها المتواني  
ولباس مجد ، واعتناق معانٍ  
رُويت سبائه بأحمر قانٍ  
ثبت الجنان ، بعالم الأحزان

عيد تبسم في تقاسيم الضحى  
يحنو على قلب تعاوره الأسى  
عش بالأمان الزافات فأنت إن  
هذا انبثاق العيد أبلغ ضاحك  
في موكب التكبير يلهج مؤمن  
وعلى وجوه الساجدين بشاشة  
والراكون وقد تواءم حشدهم  
ماذا أقول وفي المقال تقاعس  
أقسمت ما نيل الخلود برغبة  
الخلد حب واكتساب فضيلة  
الخلد عزم واقتحام حواجز  
الخلد أن تمسي وتصبح صابراً

\* \* \* \*

عنهم تربص هذه القضبان  
وعن الديار الذاكرات حناني  
حيناً ، وشمنا الحب في الأركان  
بجلائل الألحان والتحنان  
فالخير كل الخير في الاذعان  
تهمى عليّ سحائب الغفران

يا عيد خبر عن صحاب عاقي  
خبر عن الأهل الكرام وما بهم  
خبر عن البيت الذي همنا به  
وغداة إقبال الشباب وشدوه  
أذعنت للرحمن إن قدر جرى  
أنا في رحاب الله أدرج راضياً

صَادِ سِرِّ الظُّمَأِ الْأَلِيمِ بِأُضْلَعِي  
قَالُوا انْتَشَى سَكْرًا فَقُلْتَ حَنَانُكُمْ

فَمَلَأْتَ بِالْحُبِّ الْأَصِيلِ دَنَانِي  
لَوْ كَانَ يُطْلَقُ لِلْمَلُومِ يَدَانِ

\* \* \* \*

يَا عَيْدَ خَبَّرَ عَنْ مَسَامِرِنَا الَّتِي  
يَا عَيْدَ طِفْ بِالنَّازِحِينَ مُرَدِّدًا  
وَإِذْ كَرَّ لَهُمْ شَوْقِي وَفَيْضُ مِشَاعِرِي  
جَفَفَ دُمُوعُكَ يَا فُؤَادِي إِنَّمَا  
دُنْيَاكَ يَا قَلْبِي الْمَشُوقُ ضَيَاؤُهَا  
هَلْ عَجِبْتَ لِعَالَمٍ لَا يَرْعَوِي  
أَقْطَابَهُ الْحَمَقَى « الثَّلَاثَةُ » أَشْعَلُوا  
نَادُوا فَأَرْهَفْتَ الْمَشَارِفَ سَمِعَهَا  
هُوَ بِالْفَافِظِ يَدِيحُهَا هَوَى  
لَا بِأَسْ أَنْ يَسْتَمْتَعُوا بِنَعِيمِهِمْ  
وَالذَّرَّةُ الْخَرَقَاءُ مَاذَا خُطِبَهَا  
إِنِّي أَرَاهَا فِي الْمَظَالِمِ سُخِّرَتْ

رَفَّتْ ، وَعَنْ عَهْدِهَا رِيَّانَ  
نُوحَ الْقَصِيدِ ، وَدَامَعَ الْأَوْزَانِ  
وَقَصَائِدِي فِي الْقَيْدِ وَالسَّجَانِ  
عَمْرُ الْفَتَى طَيْفَ سِرِّ لَثْوَانِ  
مَهْمَا اسْتَطَارَ يَثُوبُ لِلْخَفَقَانِ  
وَيُظِلُّ طُولَ الدَّهْرِ خَدَّيْنِ طَعَانِ  
بَيْنَ الْأَنَامِ مِشَاعِلَ الطَّغْيَانِ  
مَاذَا بَرَبُكَ طَنْ فِي الْآذَانِ ؟  
وَوَرَاءَ مَا قَالُوا صَلِيلَ سَنَانِ  
وَشُعُوبِهِمْ فِي مَاحِقِ النِّيرَانِ  
تَطَأَ الْوُجُودَ بِمَنْسَمِ الشَّيْطَانِ  
وَتَوَعَّدَتْ مَدْنِيَةَ الْإِنْسَانِ

\* \* \* \*

عَجِبَ أَتْلُكَ هِيَ الْحَيَاةُ بِسَمْتِهَا  
هِيَ حَيَّةٌ رَقِطَاءُ ذَاتِ نَعُومَةٍ  
فَاحْذَرِ إِذَا رَمَتْ السَّلَامَةَ عُنْدَهَا

أَمْ ذَاكَ حَلَمٌ جَالٌ فِي الْأَجْفَانِ ؟  
وَقَدْ انْطَلَتْ فِي حَلَةِ الرِّهْبَانِ  
قَدْ يَنْفَعُ التَّحْذِيرُ لِلْيَقْظَانِ

١٩٥٧

## في عيد الأم

« .. وأقبل عيد الأم ، وظلام السجن يكاد يزهدق الأرواح »

خَبَّتْ في غمرة الآلام والبؤس ترانيمي  
وجفت نضرة الأحلام من عصفٍ وتحطيمٍ  
فلا كأسٍ بمرعةٍ ، ولا رنّت تقاسيمي  
أساقى الليل أوهامي وأحزاني وتسليمي

\* \* \* \*

تعالى عانقي الأشواق في قلبي وأحشائي  
تعالى قبلما تذوى هي الأخرى بأحنائي  
فهذا العمر يا أماه يحكي برق أنواء  
توارى بسّمه الأخاذ في أعماق ظلماتي

\* \* \* \*

تعالى رطبي بالحب والتحنان أيامي  
تعالى باركي بالنور والدعوات أحلامي



تعالى بللى بالعطر والأشواق أنسامي  
على كفيك يا أماء ما يذري بأسقامي

\* \* \* \*

تعالى عانقي شوقي فقد طالت بنا الغربة  
وما زال الزمان الجهم يشعل بيننا حربه  
جفانا الفجر يا أمي ، فعشنا نبتغي قربه  
وهل سيضيع يا أماء عبدٌ قاصد ربه ؟

\* \* \* \*

تعالى .. رطبي سمعي بمعسول الأساطير  
فمن ملك له الأزواج في عمر الأزهير  
إلى جنّ معرودة .. تزجر في الدياجير  
وقولي عن « جحا » الفنان .. عن رب المسامير

\* \* \* \*

وهات قصة أخرى عن الذؤبان والشاة  
والغزاز وأسرار وأحجية غريات  
وجدت الراحة الكبرى لدى تلك الخرافات  
تزيل الهم عن قلبي ، وتشفى من جراحاتي

\* \* \* \*

وقصّي عن « علاء الدين » .. عن مصباحه السحري  
وعن عفريته المخبوء طي غلالة البدر  
وقصّي عن « سليمان » وعن خاتمه السري

و « لبيك » التي فكت قيود الذل والفقر

\* \* \* \*

وأبسطة على الأرياح تسبق دفقة الضوء  
فلا تشكو إذا انطلقت الى الآفاق من عبء  
بلا قيد .. مجنحة .. وليس تهاب من شيء  
محررة .. أعنتها .. تغيث القلب بالبُراء

\* \* \* \*

وأين حديثك الرقراق عن جنات عدنان  
وسندسها ونخضرتها ، وعن حور وولدان  
تميس هناك هائمة على خضر وإيمان  
جمال لم يكن يوماً ، وما لحظته عينان

\* \* \* \*

وقصر طوبه البراق من حرّ اليواقيت  
وردهات منمقة ، وليست للطواغيت  
وأمتعة أرائكها ... مذهبة التوابيت  
وليست مثل دنيانا ثوت في كف عفريت

\* \* \* \*

ليالٍ كنت يا أماء أهواها وتهواني  
وأمرح في مفاتنها بأفراحي وأحزاني  
وعقلي الطفلُ يا أماء وشأها بألوان

مضت ... لم يبقَ لي منها سوى الذكرى وسجاني

\* \* \* \*

أعيدك جاء يا أماه والأحلام مطموره؟  
وأعيادي مدمّاة بسيف البغي ممتوره  
أناجي الليل والأسجان ، والآمال مهدوره  
ولا ألقى من الأفراح غير اللفظ والصوره

\* \* \* \*

ندوب نخطها التاريخ في روحي وفي جسدي  
فأضنت همتي السماء في قلبي وفي جلدي  
أثارت جمرة حمراء كالإعصار في كبدي  
وما أنا غير مسجون ينوء بغامر النكد

\* \* \* \*

أعيدك جاء يا أماه والأعياد قد تشقى  
إذا عادت وفي يدها مصارع غنوة الشوق  
إذا عادت وللأحرار زجيرة من الرق  
إذا عادت وقد سالت فظائعها على الشدق

\* \* \* \*

أراك اليوم يا أماه في الأعياد تبكي  
فهل جعلوا أغاني العيد يا أماه تأبيناً  
لقد فاضت مشاعرنا ، وما فاضت مآقينا  
كفانا ذلك الخفاق إذ يبكي أفانينا

\* \* \* \*

تعالى ودّعي الركب الذي قاسى .. وكم قاسى  
لقد خنقوه يا أماء آمالاً وأنفاساً  
وهم قبروه بنا أماء إقداماً وإحساساً  
وهم قتلوا بهذا الركب إشعاعاً وإيناساً

\* \* \* \*

أنا في الأمس مرآة لشعب مرغم بالكِ  
يشق طريقه المأمول فيما بين أحلاكِ  
يضمخ كأسه بالدمع رهن خشوعِ نساكِ  
ويمضي دامي الخطوات في صحراء أشواقِ

\* \* \* \*

لكم ساءلت يا أماء نفسي عن هوى الناسِ  
أحاييل .. خياناتٌ تخوض ببحر أرجاسِ  
وأخلاقٌ معربة .. تميد كشارب الكاسِ  
معاييرٌ ملفقة تساوي الصخر بالماسِ

\* \* \* \*

وطال تساؤلي فيها .. كما طالت شكواؤنا  
صنعت لقلبي الباكي من الأوهام ميدانا  
أصوّر من هموم الأمس أشكالاً وألوانا  
وأمضي في دجنتها أذيب القلب أحزانا

\* \* \* \*

ألا تدرين يا أماه أن الناس أشتات ؟  
وهم في الأمس أو في اليوم بسمات وآهات ؟  
وهم كذبوا .. وهم صدقوا .. وهم عاشوا .. وهم ماتوا ؟  
فما يضمنيك يا أماه والأيام دولات ؟

\* \* \* \*

لقد رفقت على ثغري تهاويل وألحان  
نخلاصة همسها المكبوت آهات وأشجان  
ولست ألام إذ يطفو بقلبي الحيّ تخنان  
وما أنا غير إنسان ... أجل والله ... إنسان

١٩٥٧

## صوفيات ...

« إلى روح الشاعر المؤمن عبد الوهاب عزام ، الذي قدم  
إلى قراء العالم الاسلامي روائع الفيلسوف الشاعر محمد  
إقبال » .

### ١ - أنا والوجود

لم تزل فيه مسحة الظلماء	تشرق الشمس بالضياء وقلبي
فمالت نشوانة بالضياء	والنخيل الهيفاء توجها النور
عبقري الأريج في الأنحاء	والرياض الخضراء يطفو شذاها
أنت يارب في يدك دوائي	وفؤادي من المعاصي عليل

### ٢ - نفسي

وتسوق النشيد تلو النشيد	قالت النفس أنت تبكي طويلا
وتنسى العزاء في التوحيد	كيف تعمى عن القناعة والصبر
كم ثناء على شفاه العبيد	كم عليل في ساحة الموت راض
كل آن تهفين نحو جديد	قلت يا نفس أنت أصل شقائي

### ٣ - الحقيقة

قلت للنفس يا لعينة صبراً  
فأشاحت بوجهها ثم قالت  
انظر الأرض والسماء ودنيا  
قلت بل بهرج خئون وقشر  
إن بعد الممات خلدأ جميلاً  
سرح الطرف في الوجود مسجلاً  
من جمالٍ ومرتعة لن تدولا  
وبريق قد لا يدوم طويلاً

### ٤ - سنة التحول

حين جاء الشتاء يخطو وثيداً  
قالت الشمس يا لظال ثقيل  
والسحاب الريان عبر السماء  
يترك الروض للعواصف نهبا  
يحجب النور عن دنى الأحياء  
فأجاب الشتاء قول حكيم  
ويبيد السكون بالأنواء  
قد يمل الأنام طول البقاء

### ٥ - الوجود مسخر لي

قد رفعت الكأس الشهي وثرغري  
غير أني لمحت وجه شرابي  
في اشتياق ولهفة مجنونه  
قال لي الكأس لا تضيع رحيقي  
في ارتعاش ورغبة مسجونته  
قلت : كل مسخرٌ لحياتي  
واتركن الحياة فيه مصونه  
ولي الكون كأسه ولحونه

### ٦ - القديم والجديد

قلت للريح ما وراءك؟ قالت  
لست ألقى بين الأنام جديدا  
مثلما كان يا رفيق أمامي  
كانت الحرب صيقلاً ورماحاً  
غير أني أرى ضحايا كثاراً  
غير لون الدُمى وزيف الكلام  
ثم أضحت في «ذرة» وانقسام  
وأرى الكون شعلة من ضرام

## ٧ - الثوب الجديد

قال لي صاحبي الوفي هنيئاً  
طببت سمناً وملبساً وشباباً  
قلت في حسرة وقلبي طعين  
أنا عاري رغم استطالة ثوبي  
ذلك الثوب ذو الرداء الجميل  
عبقري المني ، قليل المثيل  
مفعم بالأسى المرير الطويل  
أقطع العمر باحثاً عن دليل

## ٨ - أعدى الأعداء

لا تظنّ الأسوار سجناً عتيداً  
لوثت غايتي وعاثت فساداً  
تقلب الحزن راحة وهناء  
لست أدري كيف المسير إلهي  
إنما السجن كان من صنع نفسي  
في كياني ، وولولت يوم عرسي  
وتميل الأفراح أشجان بؤس  
إن أعدى الأعداء يا رب نفسي

## ٩ - جنون

يحسب الناس أنه مجنون  
قلت : بل هارب ، يمجّ حياة  
تصرع الحق والصفاء غباءً  
يا غريب الديار في قوم سوء  
مسّه في الظلام داء الخبال  
كل ما عندها رصيد احتيال  
وتريق العفاف تحت النعال  
عش بعيداً عن عالم الجهال

## ١٠ - حيرة ..

يا إله الأكوان هاك فؤادي  
فامجّ بالنور واليقن ضعفي  
نأ يا رب كاهلي بالخطايا  
إن في الغرب لوثة ومروقا  
ضارعاً تائباً حطيم الأمان  
واملاً القلب بالرضى والأمان  
وكذا باء بالضياع زماني  
ولدى الشرق ضائعات المعاني



## ١١ - الغاية

أفعلُ الخير للأنام ولكن قابلوني بعبسةٍ وجحودٍ  
فرأيت الصديق صار لثيماً ورأيت المحب شر حسودٍ  
أيها الكون هل وراءك سر اني حائر بهذا الوجودِ  
قال صوت مزجر من بعيد افعل الخير .. للإله المجيدِ

## ١٢ - السكر

ليس سكرأ إذا نهلت طلاءً إنما السكر من كؤوس الغرورِ  
فإذا ما رشفت منه فحاذر من هوى قاتلٍ وداءٍ خطيرِ  
رب هرّ يرى التوثب سهلاً ويخال الونى بليث هصورِ  
ليت قومي يدرون سرّ قصيدي فيكون السلام في تحذيري

١٩٥٦

## مر عام...

« .. ومرت علينا ليالي العذاب الطويلة ، نرقب طلوع الفجر  
في صبر وألم خلف الأسوار .. ثم توترت الأعصاب عندما  
جاءنا نبأ العدوان الثلاثي الغادر ... »

ها هنا نامت على صدري المني	ورؤى الأحلام أغفت ها هنا
حولنا الدنيا أقامت سورها	يحجب الآمال عنا والسنا
كان قلبي كالقطا في وثبه	خافقاً بالحب خفقاً ليتنا
يا ضمير الغيب هل أبقيت لي	غير ذكرى من عذاب وضئى ؟
جف سحر الحب من إعصارها	وهي تذرو بشواظ حلمنا
زعزع الحظ هنائي ظالماً	ليت شعري يا إلهي .. من أنا
أنا من ناء بآلام الـورى	فسكبت الوجد دمعاً ساخنا
شرعتي الخير وفي أعطافه	عشت دهري بانياً لا شائنا

\* \* \* \*

كان حلمي يا إلهي باهياً	والهوى يعبق طهرأ حولنا
عدت كالطائر لما أن هوى	بعد أن طال جناحيه الونى
أرملق الأفق كسيراً مقعداً	لاهث الأنفاس محطوم القنا
ورفاقي فوق أرواح الهوى	في الرياض الخضر في واد الهنا
يرشفون الصفو في عرس الضحى	كالنشاوى بين أزهار المنى

\* \* \* \*

نحن في وادي النوى لا نرتأي  
أقبلت في قسوة مجنونة  
إنها تسخر من آجالنا  
يا لقلب الليل في حلكته  
ويميت اللحن في أفواهنا  
أحرامٌ إن هفت أنغامنا

غير آلام أهاجت شجنونا  
تنشب الأظفار في أجسادنا  
كم تمادت فأذابت عمرنا  
يكنم الآمال في أحنائنا  
بيمين بعثت آمالنا  
وتهادت في تهاويل العنا؟

أنا في ظل الأسى قد ألهمت  
لم أثر في وجه دهر غادر  
شيمتي الصبر على أرزائه

شفتاي النوح حزناً وضنا  
ينثر الغدر فنوناً فوقنا  
هل لدى الصبر حليف غيرنا؟

أيقظ الوجد حنيني حينما  
من وراء البحر جاءوا عصابة  
كم لهم في أرضنا من غلدة  
حرموا الأمة من خيراتها  
ولكم ثرنا على إرهابهم  
يا إلهي إن في أحشائنا  
أنت تدري ما ثوى همسنا  
ألقِ بالنور على ظلمتنا  
إن تكن تعرض عن آمالنا

جوب الباغي على أشلائنا  
ليثيرو الروع في أوطاننا  
لم تزل آثارها تدمي بنا  
وأزاقوها هوانا بيننا  
غير أن القيد عاقت خطونا  
مرجل يغلي.. وفي أرواحنا  
وتعي يا رب ما في قلبنا  
وامحُ بالعفو خطايا دهرنا  
من لنا يحنو علينا؟ من لنا

## فلسطين الجريحة...

أنا في غدي. كالشعلة الحمراء تجتاح الهشيم  
كالنور يكتسح الظلام ، ويفضح الليل البهيم  
سأثور فوق بطاح « يافا » لا ..... أريم  
أبني الذي هدمته عادية الخطوب على التخوم  
و« بخان يونس » أرقاً الدمع الذي خضب الأديم  
والقدس أرجعها إلى الأحرار والشعب المجيد  
وأعيدها قدسية الأعطاف كالماضي السعيد  
وعلى المآذن يهدير التكبير في الفجر الوليد  
وستعلم الأحداث كيف نقارع الخطب الشديد  
يحمي الإله حشودنا ، وبقلبنا العزم الحديد  
فلقد دعونا للسلام فشوهوا معنى السلام  
ولقد بررنا بالذمام ولم يبالوا بالذمام  
خفروا عهود الصادقين ودبروا تحت الظلام  
زحفوا .. وفيهم وصمة الأنذال .. بل غدر اللثام

سحقوا ترانيم الأمان ، وبددوا حلم الأنعام  
يا إخوتي أشبال « طه » يا تبشير الصباح  
يا بسمة الفجر الوضيء على الروابي والبطاح  
.. وغدا تدق طبولنا يوم المسير إلى الكفاح  
.. وغدا تفيض جموعنا كالسيل .. أو هوج الرياح  
تنفي الكرى عن أعين الغافين في ليل الجراح  
هيا ورائي فالأسى كالجمر يلفح وجهنا  
هيا .. فصمت المرغمين جريمة في حقنا  
لن . تغفر الأجيال نكستنا .. وأيضاً ديننا  
هيا . لنغسل بالدماء حقولنا وديارنا  
يا إخوتي في الله .. في الوطن المضرج بالدماء  
يا إخوتي في الصبح .. في الليل المشبع بالبلاء  
يا إخوتي في الشرق .. في الغرب الصبور على العناء  
يا قبسة المجد التليد وشعلة العزم المضاء  
هانت مصائرنا ... فهيا نحتسي كأس الفداء

١٩٥٧

## يا بدوي ...

« قيلت في ذكرى مولد ولي الله السيد احمد البدوي صاحب  
الضريح الأشهر في مدينة طنطا » .

بالباب اصطفت مجاذيبُ وجوار القبر محاسيبُ  
ألوان الطيف جلاليبُ والصحبة تنشد في عشقِ  
الله الله يا بدوي

ويموج ويختلط السامرُ والمسجد مكتظ عامرُ  
ومع الطبال يرى الزامرُ والحادي يهتف من شوقِ  
الله الله يا بدوي

زفوا « للسيد » موكبهم ولهب الشوق يجاذبهم  
نفحات التوبة تغمرهم قد بلغوا ساحات الحقِ  
الله الله يا بدوي

فلاح قد باع البقرة ووجوه ترهقها قتره  
وعيون أضنتها العسره وثغور تصرخ في توقِ  
الله الله يا بدوي

وحشود رايتها حمرا وشيوخ « عمتهم » خضرا  
وجمال سحتها غبرا هتفوا كالشاكى من حرق

الله الله يا بدوي

مسيحة عانت الأصبغ اللؤلؤ فيها مترصع  
تتدلى من عنق الأقرع يجري ويدندن لم يفق

الله الله يا بدوي

والغيد تغني مسروره بالهودج أضحت مستوره  
أنفاس ولهى مبهوره غني .. غني ذات الطوق

الله الله يا بدوي

ونخيام في تلك الساحة وخراف تنحر فوآحه  
و « الذكر » يشعشع أقداحه دعوات تصدر في صدق

الله الله يا بدوي

و « الصاري » في وسط الرحبه وحواليه جث الصبحه  
ألحان حرى مصطخبه وأنين ملتاع الشوق

الله الله يا بدوي

درويش يرغي أو يزبد ويهمهم بالشيخ المفرد :  
يا باب « الزين » يا « سيد » ويوقع ألحان العشق

الله الله يا بدوي

يا « سيد » يا خير الجار يا سند الضائع والعارى

عليك رميت بأوزاري مسلوب الحيلة والنطق

الله الله يا بدوي

تركت الحقل مع الولد والرغبة تشعل في كبدي

ولزمت جوارك يا سندي يا غيث الرحمة والرفق

الله الله يا بدوي

«القطب الأعظم» ناداني وبجنح الظلمة وافاني

في الرؤيا جاء ومنّاني باليسر مع الفرج الحق

الله الله يا بدوي

وشيوخ الطرق الصوفية يحفون تبدو «مرخيّة»

ولحاهم تقطر «حنية» تسبي دروباً في الرقّ

الله الله يا بدوي

ولدى «المقصورة» رهبانٌ ونساء طفن وشبانٌ

وضريح «السيد» مزدانٌ بالفضة والوشى الشرقي

الله الله يا بدوي

ومجامر تعبق نشوانه ورؤوس مالت هيمانه

فيخال النادي كألحانه مأوى للسكران النزق

الله الله يا بدوي

بنتٌ تشكو الحظ المائل تهفو للزوج وتتساءل

وجبين مخضوب حائل تدعو «البدوي» من العمق

الله الله يا بدوي



وفتى ناشته الأسقامُ أضناه الداء الظلامُ  
الجن عليه الأورامُ تكسوه مياذيب العرقِ  
الله الله يا بدوي

وعجوز يهمس في حزنِ الدودة قد أكلت قطني  
والجوع يعربد في بطني والساعة تبطىء في الدقِّ  
الله الله يا بدوي

و«لوا حظ» ترقص في السيرك و«علي الكسار» على الدركِ  
وعيون الناس الى الوركِ ترنو والثوب المزرقِ  
الله الله يا بدوي

والساحر يلعب بالحيه يقتلها ويبعثها حيّه  
أو يصنع منها جنيّه سبحان الباقي والمبقى  
الله الله يا بدوي

والحمص والخواوى الحمرا تبدو في حمرتها جمرا  
«نشال» يخطفها سرّاً ويغمغم محمراً الشدقِ  
الله الله يا بدوي

وبيارق تخطر في الدربِ وتميل فتلعب بالقلبِ  
تبعها جمهرة الشعب وتتمم باللفظ العبقِ  
الله الله يا بدوي

وهناك في تلك الزفه حشد كالـمـوج بلا ضفه

وجياد تمضي في خفه لا تعرف مضمار السبق

الله الله يا بدوي

و«خليفة مولانا» الأكبر البحر الجياش الأزخر

أعطوه التاج بلا جواهر ما فاه سوى قول الصدق

الله الله يا بدوي

ويجيء وينصرم العام فتؤوب وتربو الآثام

وتحط بقلبي الأوهام وصراخ حولي في دفع

الله الله يا بدوي

عشاق للدجل المزري وحياة مبهمة السحر

تكتظ بألوان الشر وتولول في صخب الحمق

الله الله يا بدوي

أقوام ضائعة المعنى الذلة فيها لا تفنى

فسدت أذواقاً أو مبنى تتسابق في هوس مُشَقِّ

الله الله يا بدوي

وتظل جيوش النفحات تلتمس هطول البركات

ويظل دوي الآهات ينساب لسمع لم يفق

الله الله يا بدوي

والزينة «والشرف الأخضر» والزار وضجته تسعر

والزامر ذو الوجه الأسمر وندامي تشرب أو تسقي

الله الله يا بدوي

وأعوذ      أـجـرـجـر      آلامـي      أو أنـعـي      نـضـرة      أحـلامـي  
وشـعـبي      الغـرّ      وإـسـلامـي      يـنـدـاح      لـسـمـعـي      المـحـترقـ  
الله      الله      يا      بـدوي

١٩٥٧

## الرحيل

« وأخذوهم من بيننا الى بعيد .. هكذا فجأة دون أن  
ندري عنهم شيئاً . »

فاستطار الأسى وسال عويلا	صاح صوت النذير هيا الرحيل
كقصور ، وتستحيل طلولا	خدعة هذه الحياة ... أراها
تاركاً ظلمة وليلاً ضليلا	يبسم البدر في السماء ويمضي
كفن الأفق والرواء الجميلا	آه ما أبشع الظلام اذا ما
فأمسى به حزينا ذليلا	وتمادى فوشح الأمل الحلو
وثيداً عبر الاسى وعليلا	آه ما أثقل البقاء اذا مرّ
وأخوض الوغى عريقاً أصيلا	اني أنشد الحياة أبيعاً
إن بعد الرضوخ داءً ويلا	لست أرضى مذلة واعتسافا

\*\*\*

خلف أسوارهم تصل صليلا	أين أين الأولى توارت خطاهم
تصرع العسف والظلام الجهولا؟	يا رفاقي ألا تزال الضحايا

نترك البغي كي نراه جديدا ؟ يا لقلبي !! أهكذا لن يحولا

\* \* \*

أمة تحمل القيود وتمضي  
كل ما عندها رصين حنين  
ومعايير الهزيمة والنصر..  
أمة تجرع المهانة قسرا  
قد طواها تخاذل وامتهان  
طال عهد الضباب في شاطئها  
يا رفاقي وقد رحلتم بعيد  
إن رأيتم موارد النيل فاضت  
وسبي ركبكم تواب موج النيل  
فاصرفوا وجهكم عن لقي النيل  
هو جاثٍ يقبل الأرض لكن  
فانزعوا الورد عن شواطئه السود  
إنما الخصب أن ترى الأرض  
لو سرى الحق في رباها لعزت  
سيمة الحر أن يمج قيودا  
فاذا قرّ فهو شعلة نور  
وهو صخر النجاة في وهج الروع  
وهو شعب بأسره .. بل شعوب

لا تمل الإرغام والتنكيلا  
تزرف الدمع في الخفاء طويلا  
.. لديها تحولت تحويلا  
لا تمل التخدير والتمشيدا  
ثم هبت تقدس التضليلا  
فأساءت عقولها التأويلا  
وتركتم منازلنا ونزيلا  
بالصبا الحلو والنسيم بليلا  
.... يهفو وينشد التقبيل  
.... وحيّوا لدى رباه النخيل  
هي تسمو لا تخاف دنخيل  
.... واخلّوه عاطلا أو محيلا  
.... سلاماً ورحمة وعدولا  
بلقعا مجدباً وجادت سهولا  
ويناوى بساعديه الحمولا  
وإذا ثار كان سيفاً صقيلا  
.... يغيث الملهوف والمخذولا  
ويرى مفرداً وجسماً ضئيلا

ليس قدر الرجال بالوزن لكن هو من لا يرى هنا مستحيلا

\* \* \*

يا رفاقي هل أقول فؤادي  
يا رفاقي ألا تحسّون ما بي  
لست أبكي بكاء عجز ولكن  
فرويت الجذور من ذوب قلبي  
يا رفاقي ألا ترون بأننا  
يا رفاقي لقد أرتنا الليالي  
يا رفاقي وفي غدٍ سنغني  
سوف تصفو موارد وعيون

مثقل بالكثير؟؟ لا .. لن أقولا  
فقصيدي لم تبد إلا القليلا  
خفت أن تدرك الزهور ذبولا  
بعد أن عافت الجذور النيلا  
نصنع اليوم فجر مصر الجميلا  
أن صبح الصفاء يقفو الأفولا  
غزوة النصر والنشيد الجليلا  
فرّ عنها القذى طريداً خجولا

١٩٥٧

قصة في قصيدة :

## سراب ..

لنا في حيننا جارُ  
طوال العمر دوَّارُ  
رماه الدهر بالنكدِ  
حليف الهم والكمدِ  
يروح لحقله صباحاً  
ويقضي يومه كدحا

ويغفو جانب المجرى  
ويشرب ماءها المرّاً

وكانت عنده بقره

طوى الأيام مسكيناً  
قنوعاً صابراً حيناً  
ويقنع باللقيمات  
وحيناً إلْف أناتٍ  
يكيل لربه الحمداً  
وإن أرخى وإن شداً

ويصبر صبر أيوب  
لأمرٍ منه مكتوبٍ

## أليست عنده بقره ؟

وجاء السيد المالك° وقال ، وقوله قدَرُ  
وأصدر أمره الحالك° فكان الذل والوضرُ  
وقال لجارنا هيتا  
ودع أرضي وشطيا

ولم يذكر له السببا  
ولكن زاده ندبا

## وما بقيت سوى البقره

بكى بدموعه الحرى . وحقّ لمثله الألمُ  
وجرّ حطامه جرّا ولم تنهض به همم  
أضاعوا منه فدانا  
ولم يعطوه تبيانا

لقد هدته بلواه  
ففاضت منه عيناهُ

## وكانت مثله البقره

فلا البرسيم يأتيها ولا تنداح للحقلِ  
غدت لا شيء في فيها لكم تشتاقل للأكلِ  
وزينت بنته الكبرى  
وسعدى أختها الصغرى

واحمد.. صاحب البقره



وعيسى... فوقهم قتره

### وجف الضرع بالبقره

فلا خبز ولا لبنُ

بطونهمو وقد سكنوا

«أريد الخبز يا أمي

برمت بجفوة النوم

أريد الخبز قد جعنا

وليس لعيشنا معنى

أنذبح يا أبي البقره ؟

نداها ضاع كالأمس

لأن البيت كالرمس

ويصرخ أحمد الباكي

وعيسى الجائع الشاكي

كأن البيت في مأتم

وطيف الموت قد حوم

### وطاف الحزن بالبقره

فلف سواده الدارا

وفي أجسادهم سارا

وصاحت زينب: «البردا»

فعاد لها الصدى فردا

سرت في قلبها الرعده

ذوت في الركن كالقرده

وعيناها الى البقره

وسعدى هدها الظمأ

ترى اقراها مالأوا

ولكن ويحها سعدى

إذن فسكوتها أجدى

وجاء الليل كالمارد

وهب نسيمه البارد

أبوها قال يا زينبُ      غداً نقتات في نهمِـ  
ألا تلفين ذا الغيبُ      دياجيهِ إلى عدمِـ  
فما ليل بلا صبحِـ  
ولا حسن بلا قبحِـ

لنا رب هو الباقي  
على كفيه أرزاق

ورزق الناس والبقره

وجاء الصبح وضياءً      وثغر الشمس بسامُ  
ويمضي الناس أخلاءً      وفي دنياهمو هاموا  
« زيد » يرفع الفأسا  
« عبيد » يقرع الكأسا

ورأس فوقها جرّه  
وكف تنثر البدره

وأخرى تسحب البقره

وأحمد !! أين أنغامه      إذا ما سار بالبقره ؟  
وكيف جفته أحلامه      فخالطه عيشه كدره ؟  
أبوه صار في الخدمِـ  
لرب الأرض والحشمِـ

وتلك الأم غساله  
كأن وجودها عالـه

وماتت .. ماتت البقره

وأحمد صار مأجورا      وعيسى عامل المصنع

وسعدى عافت النورا

غدت عمياء لا تنفع  
وزينب ويحها زينب  
إلى « ترحيلة » تذهب

تعيش هناك أياما  
تزيد الروح أسقاما

وضاع الحقل والبقره

\* \* \* \*

أرى بالدرب قافلة

صباح مساء موغلة

وحاميها هو الله

وحاديها هو الله

فأبشر صاحب البقره

## فتى اللد ...

« قابلته في معسكر اللاجئين قرب عمان في عام ١٩٥٤ ،

فقلت : من أي بلد الفتى ؟ قال : من اللد ، قلت شهدت مذبحتها الشهيرة ؟ هتف وفي عينيه دموع : « الثأر .. الثأر » .

وأمر الأنام بأيدي القدر  
فيارب صاح يذود الغير  
فأنت القضاء ، إذا ما صدر  
رهيف الشبابة حديد البصر  
ببطن الوهاد وبين المدر  
« إذا رام حر نخلوداً ثأر »

\* \*

طليق المحيا وسيم الصور  
جلتها الليالي وكر السحر  
وكم ناء بالحزن جهد البشر  
عميق الأسى من نخثون غدر  
وبكيا القلوب وشعبا صبر

علام التجني وفيهم العثر  
ولكن حذار .. حذار الكرى  
حباك الإله مكين الهدى  
وإن تبغ مجداً وطيداً فكن  
ولا تنس ثأر الأولى ضيعوا  
فقدماً سمعنا نداء البقاء :

\* \*

أتاني الفتى وهو غض الإهاب  
وكان على سمته حكمة  
وفي خطوه بان حزن عميق  
طليق المحيا لضعيف عزيز  
فمنه علمت ابتسام الثغور

سألت الفتى أين بالأمس كان  
وما نخلت أن سؤالي هـوى  
رأيت الدموع على خده  
وغامت ربى الشام في عينه  
وما عاد يسمع غير الصدى  
وما عاد يبصر غير الجوى  
فأين الصحاب ومهد الصبى  
وأين ضفاف على تبرها  
أفرد للشمس في خدرها  
وكم فاض كأس بذوب الضياء  
صحوت .. فلا الكأس بين يدي  
بلادي .. بلادي . على أرضها  
ومنها ملأت ربوع الجنان  
فمالي أرى اليوم شعبا سرى

\* \* \* \*

ومهد الفتى البيد أم في الحضر  
سياطاً تثر ولوماً هدر  
تخط الأسى في الإهاب النضر  
فخال الرياض يابا صفراً  
صدى شعبه الحر حين احتضر  
ومجداً ثوى في ظلام الحفر  
ونحضر الروابي كحلم خطر  
شربت الهناء وقلبي سكر  
وأرمل كالصب وجه القمر  
وقد كلل الفجر هام الشجر  
ولا فجر هذا الوجود ظهر  
رضعت الحنان بعهد غير  
بمجد الحدود وماضي الخبر  
ضليل الخطى مستذل الفكر

ونمسي ونصبح رهن الحذر؟  
يجلننا بأسنا والخور؟  
ويا رب ماء هي من حجر  
وآب إليها حسير النظر  
ولا نسفح الدمع فوق الأثر  
ونبعث أنفاسنا تستقر

أنحشى من الدهر صولاته  
أنقبع في خيمة بالوهاد  
سنضرب صخر الحياة العتي  
فما نحن ممن غفا بالكهوف  
ولا نحن نبكى طلولاً لنا  
سنمضي رعوداً على رغمهم

ونشعلها كالبحيم فما غدوت أرجى بريق الشر

\* \* \*

أتسألني أين بالأمس كنت  
بلادي بلادك لست أنا  
ويجمعنا في الوجود الخطوب  
وأجاد « طه » وقرآنه  
وذكرى « صلاح » وإقدامه  
أتسألني أين بالأمس كنت  
سل « اللد » عني وعن خالدين  
فإنا نباهي بيوم الفدا  
دمانا على الرمل كانت لظى  
ولكن صدعنا لأمر أتى  
وياولنا إن أطعنا الخثون  
وقالوا « السلام » فقلنا « السلام »  
ولم ندر أن الخثون بغى  
ولم نصح إلا على عصبية  
فلم يرحموا الطفل أو أمه  
وقمت لأسبح فوق الدماء

\* \* \*

وهأنذا بين عصف الأسى  
فقدت أبى والحبيب أخى  
وشعب شريد يسوق العبر  
وأمي وداري منذ الصغر

\* \* \*

ومهدي أنا البيد أم في الحضر ؟  
طواهم ثراها بيوم أغر  
وأيامنا الحمر هنّ الظفر  
وأعمل للشار طول العمر

أتسألني أين بالأمس كنت  
سل « اللدّ » غني وعن خالدين  
فإنا نباهي بيوم الفدا  
سأهتف بالشار أنّي رحلتُ

## في طريق الاهوال

أخي ضاقت بنا الأيام واحتضرت بواكيري  
وأقفر روضتي الريان واختنقت أزهوري  
وما دنيائي أو دنياك إلا بعض تغرير  
لقد عشنا على مضضٍ وتهنا في الدياتجير

\* \* \* \*

مضوا بأبيك يا محمود من عامين لم يرجع  
وكم صحننا به في الهول علّ أباك قد يسمع  
ونضرع في الأسى الدامي وعشنا يا أخي نضرع  
فأشقانا انتظار طال والأقدار لا تسمع

\* \* \* \*

وصرنا رغم محياه بدنيا الناس أيتاما  
أرى الحيرات أنهارا وطيف الجوع قد حاما  
نعيم قد حرمناه ونقضي العمر صوّا  
وأورثنا الطوى الموصول أوجاعاً وأسقاما

\* \* \* \*



حياة كلها ظمأ وكدت أعاف دنيانا  
وكان أبوك يا محمود ملجأنا ومأوانا  
إذا جعنا فمن عرق الجبين الحر أعطانا  
وإن نظماً فبالأحراق والأرواح روانا

\* \* \* \*

فما ذنبي ؟ وما ذنبك ؟ خبرني لكي أفهم  
أسائل حظنا المنكود ، لكن حظنا أبكم  
ونبكي .. والليالي السود رغم الدمع لا ترحم  
لقد سجنوا أبي المظلوم .. والآمال .. والمطعم

\* \* \* \*

تعالى ها هنا ليلى .. تعالى نمزج الدمع  
رأيت الناس قد فقدوا ضياء العين والسمع  
وأي فضايل الإنسان ؟؟ أضحت بيننا صرعى  
ألا نخسأت أراضينا إذا ساءت لنا مرعى

\* \* \* \*

تعالى ها هنا ليلى لنسمع عصف أتراحي  
توارت في فجاج الليل آمالي وأفراحي  
ولم تترك بنا الآلام غير فضول أشباح  
ونهر شبابنا الفيض أمسى بعض ضحضاح

\* \* \* \*

تعالى قبلما تأتي بسود ثيابها أمي  
فلا تبكي إذا حضرت فأملك مجمع الهم

وأمل لم تزل تحيي برغم البؤس والغم  
ورغم تنكل الأحباب من خالٍ ومن عم

\* \* \* \*

أنصبح نظرق الأبواب ؟ يا للذل والحسرة  
ومد الكف وأسفاه مثل الموت للحرة  
فلا عجب إذا عفنا مذاق اللقمة المرة  
ونكتم سرنا المحزون لكن حالنا جهره

\* \* \* \*

متى سيعود يا محمود كي تنجاب بلوائى  
ترى أيعود يا رباه ذاك الشارد النائي  
ليحمينا من الحرمان والإذلال والداء  
كجمر النار أشواقى ، تعربد بين أحنائى

\* \* \* \*

فما الدنيا ؟ وما الأعمار إن عشنا أذلاء  
نداجي العيش إرغاما ، وندفن فيه أحياء  
يثور مزججراً صوتي ليفنى بعد أصداء  
ونزعم أننا نحى .. أجل .. نحى أذلاء

\* \* \* \*

ومرت لحظة خرسا على ليلى ومحمود  
يخالط صمتها المتعوس إعصارات تنهيد  
تملأ فيه محمود كمغترب على البيد

تملأ كالأماني البيض في أيامه السودِ

\* \* \* \*

وقال إذا بدا حظي كثيب السميت موصوما  
ففي غدنا — إذا عشنا — نلاقي القيد محطوما  
ويرجع عقيد سامرنا — بأمر الله — منظوما  
فأمر الخلق للخلاق حكماً ... ومحكوما

## القرية العذراء

« .. كانت تفصلني عن قريتي — شرشابة — مئات الأميال  
وفي القرية العذاب والظلام والرعب .. كان خيالها يترأى  
لي في كل حين .. »

أنا المشتاق للأنسام والأنغام والعطر  
إلى « شرشابة » الحضراء ذات الحب والسحر  
إلى حاراتها السمحاء أو أبياتها السمر  
عشقت حنائها الفياض رغم الجذب والفقر  
نداعب باسم الأزهار والأثمار والنور  
وأسكرنا الهوى الصافي بلا كأس ولا خمر  
نسابق في ظلال « التوت » ظبيات الهوى الثر  
أنا المشتاق يا « شرشاب » يا فضية البدر  
ويا معسولة الأحلام عند ثناء فجر  
ويا ذات الشذى الخطار فوق حقولك الحضر  
أنا المشتاق يا « شرشاب » يا أنشودة الطهر  
ويا ذهبية الآصال يا وضاعة النحر

أسرت فؤادي المحزون رغم قساوة الدهر

\* \* \* \*

أجل اشتاق للحملان والأبقار والنهر  
هناك نسوقها لسنا نخاف مرارة القهر  
ونرضعها إذا جعنا ، فتمنحنا بلا زجر  
أجل اشتاق للطنبور حين يفيض بالخير  
وبحث الكدح والإصرار في دنيا من الصبر  
أروني الأرض من عرقي وأجني نابت التبر  
وأعلم أن أرزاقني أفجرها من الصخر

\* \* \* \*

أنا المشتاق يا شرشاب شوق الحب والشعر  
بقلي شعلة رعناء توقظ هاجع الفكر  
لقد أسلمت للرحمن يا مهد الصبي أمري  
بذلت لأمتي السمحاء من مالي ومن عمري  
فخان الغدر آمالي ، وذقت تعاسة الغدر  
فيا للناس من ناس ، ويا للعصر من عصر  
بنيت لمجدهم قصرا ، فزفوني إلى قبر  
أقيمت لفخرهم حصنا فكنت ضحية الفخر  
وقد تهمسو إلى نصر أنا القربان للنصر

\* \* \* \*

أنا المشتاق يا شرشاب رغم العسف والقسر  
ورغم شماتة الحساد .. رغم الناب والظفر

أردت الخير - والأسفا - وخضت بمسلك وعري  
ألا يجني الأباة هنا سوى الأشواك والشر؟  
فمن قر وإعصار إلى الرمضاء والجمر؟

\* \* \* \*

قبت مسامراً قيدي ، وقلبي نافر يجري  
إلى أجوائك الفيحا .... إلى أيامك الغر  
وفي كبدي أيا شرشاب لوعة غائب تفري  
وكم في عالم القضبان من ذكرى ومن ذكر  
لقد أصبحت في حبي بلا عذر ولا ستر  
وصرت بعالم الأسوار مغلوباً على أمري  
برغم القيد يا شرشاب طيفك نحونا يسري

\* \* \* \*

ألا يا عابر الأنسام هل فيك من خبر؟  
عن النائين عن عيني .. بل الثاوين في فكري  
وعمن فارقوا يوماً فراق القهر لا الهجر  
أتدري عابر الأنسام ما شوقي؟ ألا تدري؟  
لكم خالطت أنفاسي وآهاتي التي تبری  
حنين لم يكن يقوى على إيوائه غيري  
سطور خطها دمعي ، ويا للدمع من حبر  
فخذها أنة المجزون في وادي الأسى المذري

## عيد ميلاد

يا رفاقي قد أتى عام جديد°  
ليتني أدري خفايا صمته  
عندها أعلم ماذا خطبه  
كيف بالله - وقد حرنا به  
مفعم بالصمت والسر العتيد°  
وطوايا سره النائي الشريد  
وأنا فيه شقي أم سعيد  
تحسبون اليوم في الأيام عيد

لست أدري يا رفاقي أي عيد

قد حسبت العيد في الماضي الحبيب°  
طالما اختلت به مستلهما  
فإذا بالثوب يبلى تاركاً  
وإذا بالحلم ينجاب أسي°  
وأنا طفل هو الثوب القشيب°  
رائع الأحلام في العيش الجديب°  
رعشة ترتاد في غصني الرطيب  
مثلما الغيم مع الصيف يغيب

يا لقلبي أي حلم أي عيد؟

وحسبت العيد في اللهو الجميل°  
حوليّ الصحب على أفواههم  
تارة نركض من خلف الظبا  
انثني فرحان في وادي النخيل°  
غزوة العصفور أو شد الهديل  
ثم نجري كي نرى سحر الأصيل

فأتى الغدر بأستارٍ له غيبت عني الهوى الغض النبيل

كيف يا صاح تقول اليوم عيد؟

ونما عودي وأدركت الشباب

في حناياه جمال مترع

كأسه الشهد وفي أحلامه

أنا إن سرت فما فوق الثرى

قلت يا قلبي لعل اليوم عيد

كم سهرنا في ليالينا الطوال

وهرعنا خلف أطياف المنى

سبحة الأحلام لا ترنو إلى

إنها تسري ولكن ويحها

أمع الأحلام إذ ينجاب عيد؟

قلت إن العيد جمع الدرهم

مهد المال طريقاً شائكاً

هو ردءٌ من رزايا دهرنا

ما بغير السيف أجتاح الوغى

قلت بالدينار هذا اليوم عيد

ثم حال الأمر أو حمّ القضاء

بعثر الكف كما ينبغي ولم

ليس يعني من اليوم سوى

سنةٌ لله ما فيها مرء

يبق في الجيب سوى قبض الهواء

لقمة العيش وأثمان الرداء



كل حي سوف يمضي للردى      أي جمع متناهٍ لغفاء  
هل ترى في ذاك ما تدعوه عيداً ؟

وحسبت العيد حباً ووفاءً      مشرق الأعطاف بسام الرواء  
تنهل الأرواح فيه كأسها      مترعاً بالخير والآي الوضاء  
تلتقي فيه قلوب طالما      هدها الكيد وأحقاد الجفاء  
لم أجد غير اصطناع ماهر      لا بتسام قد بدا فيه الرياء  
أي عيد يا إلهي      أي عيد ؟

اطفئوا بالله هاتيك الشموع      إن عندي مثلها خلف الضلوع  
كم جرى دمعي غزيراً فوقها      علّها تطفأ من فيض الدموع  
هالي منها لبيب حارق      وبها للدمعة الحزاء جوع  
هكذا دمعي وعمري كله      لذهوب وانسكاب وخضوع  
فلم الإصرار أن      اليوم عيد

ليتني رافقت أسراب الغزال      حيث لا شر ولا زيف يُقال  
نصعد الآكام في صحوتنا      حولنا طهر وضيء ورمال  
نمزج الروح بأعطار الهوى      ونذود العقل عن بحث الجمال  
نأخذ الدنيا كما أبدعها      باريء الأكوان من غير ابتدال  
حينذا أهتف إن      اليوم عيد

أنا باكي الشعر مجروح النسيب      واجم الإحساس من أمري العصيب  
كلما غنيت لم ألفظ سوى      شهقات الحزن في لحن الغريب  
وإذا صمت عن الشعر جرى      بين أضلاعي في وقع الوجيب

ليتني ألقى بعيداً مهرباً أنزوي فيه بمحيي الحبيب

حيث لا يهفو إلى قلبي عيد

بذراع أوهنته النائبات وفؤاد أنهكته الجائحات

عُمتُ في بحر عتيد صاحب أصرع الأمواج القناة

طال صبري في تهاويل الدجى فوهى عزمي وأعياني الثبات

لم أشم شطاً بآماد الأسى وخفوق النور في الآفاق مات

من إذن قال بأن اليوم عيد

تلك أيامي خطوب داجيه مثقلات بجراح داميّه

خلتها حلماً رهيباً قد سرى تحت أجفان رقاقٍ باكية

أخطأ التفسير قلبي ويحه وتبدت لي الفجاج العاتيه

يا جراحي وخطوبي الداجيه خبريني .. خبريني ما بيّه؟

قهقهته ثم روت : اليوم عيد

أنا كالطيف لدى أسلاف أمسي واصطحاب الجور والأوهام ينسى

كلما صحت بالحن الأسى يتهادى الصوت في أثمال همسٍ

إن أذن الكون صمّاء فلا تحسبن الكون قد صاح بالجرسي

ليس يعنيه سعودٌ أو شقا وهو ما اهتم بحزن أو بعرسٍ

ليس أمسى أو غد الأيام عيد

غير أنني قلت ما ذنب الزمان؟ ثم ماذا قد جنى هذا المكان؟

سخرّاً مثلي فلا لوم إذا هما للغايات قهراً يركضان

ربما أشقاهما عمراهما وأذيقا من عذاب وهوان

شهدا القصّة من أولهما      حين قال الله : « كن ياذا » فكان  
أترى هل كان ذاك اليوم عيد ؟

لم لا أمض كما يهوى القدر      لا أبالي ، أتغاضى أم غدر  
فاتحاً عيني على أنعمه      شاكراً ، والخير فيمن قد شكر  
مغضياً طرفي عن اليوم الذي      خائني التوفيق فيه وانحسر  
إنما الثورة طبع في دمي      منذ أن جال على أرضٍ بشر  
إن مثلي ليس يلقى أي عيد

حكمت جلّت فمن يدري الحكم      رب نعماء وفي طيّ النقم  
وشجاع صبح في مظهره      وهو في الحق ملاذ للسقم  
وحصيف - فاض من أعطافه      خالد الأمثال - واهٍ من عدم  
كل ما أعلم أنني ذرة      في محيط مشمّر محتدم  
هل أنا اليوم على أعتاب عيد ؟

نسمة هبت وطافت بالعيون      فشجاها الدمع والدمع هتون  
همست بي : أنت ياذا موثق      وأرى الأغلال صيغت من ظنون  
كيف للأوهام تمضي خاضعاً      وعلما أرهقت تلك الجفون  
إنما العيش ثلاث كله      اضطبار واعتراك وفنون

فاعلم الآن بأن اليوم عيد

## أغاني الغرباء

« إلى التي تنتظر في صمت وصبر وإيمان »

هل تذكرين ؟

لا شك أنك تذكرين مراحنا تحت الحميلة°  
نجني هوانا الغض° أشواقاً معطرة جميلة°  
نرنو لعذراء المنى ، ويلفنا ثوب الفضيلة°  
ونعب° خمرتنا الحلال نسائماً تهفو عليه°

هل تذكرين ؟

أيام كنا نشر الألحان في همس خفيض°  
نلهو .. ونهزج بالحياة يظلنا أمل عريض°  
الحب ثروتنا التي تربو ، ومعزفنا القريض°  
كنا أصحاب القلوب بعالمٍ دام .. مريض°

باكي العميون

نمحو شقاء البائسين ونرقاً الدمع السخين°  
في موكب قلق الأماني لا يكف عن الأنين°  
وتوسلات المتعبين تضج في الليل الحزين°

كنا نواسي الضائعين بغمرة الألم اللعين  
والتأهين

واليوم قد جار الزمان فصرت ضمن التأهين  
في غربتي أحسو الأسى متربصاً برم الحبين  
ما أثقل الليل الطويل على جفون النازحين  
الحاملين على كواهلهم تهاويل السنين  
هل تعلمين ؟

إن الحياة على الغريب أشق من هول الممات  
مفجوعة النجوى .. معذبة الخواطر والسمات  
وشروقها مثل الغروب ، وشدوها لحن النعاة  
فهي الفراغ الملهم ومدفن للأمنيات  
وبلا خدين

أنا لست كالرهبان أحي في صوامع عزلي  
بل أعشق الدنيا الكبيرة لا أدين بوحدي  
الناس .. والأكوان .. والحب الرحيب .. شريعتي  
هل تعجبين إذا صرخت بشكوتي من غربتي ؛  
هل تعجبين ؟

أنا لست أرضى أن أعيش بشاطيء الدنيا غريب  
في معقل الصمت الكثيب على ثرى واد رهيب  
الحزن أغنيتي وأحلامي يوشيهما الشحوب  
أنا لست أرضى أن أكون صدى هزلاً في الدروب  
مثل السجين .

قد طال ترحالي فهل لمسافر يوماً مآب؟؟  
أترى أعود لقريتي ، وتعود أحلام الشباب؟؟  
وأرى أبي والحاملين فؤوسهم عبّر الشعاب  
العائدين من الحقول يلفهم ليل السراب  
الكادحين

هم يا حبيبةُ أهلنا ، في ظلهم ذقنا الحياة  
حيث الأوز جوارنا يخطو ، وتصطرع الشياه  
كلٌ يخطّ على الثرى حقلاً بأوسطه قناه  
يمضي على سنن الحدود مقلداً فيها أباه  
يا للحنين !!

هم يا حبيبة صانعو التاريخ آمال الغدِ  
قنعوا بما دون القليل قناعة لم توجدِ  
أعطوا .. وما أخذوا سوى ذاك القديد الأسودِ  
الله يعلم أنهم سرّ الكفاح السرمدي  
الصابرون

أترى أعود إليك يا سمراء نمرح من جديد؟  
مترنمين بلحننا الهائي وماضينا السعيد  
ونعود للكأس الحلال ونشوة الحب الفريد  
متحررين من الأسى والحزن والألم العتيد؟  
هل تضرعين؟

## غداً نلتقي

وعبر السهول غداً نلتقي  
ونبعث فيها النداء المحنق  
وتعوى الجراح على مفترق  
حديد العزيمة والموثق  
غداً يا أصحاب :

غداً نلتقي

ونقصف كالرعد فوق البطاح  
ونصعق بالنور ليل الجراح  
حليف الهوان أسير النواح  
ويبكي إذا ما تهادى الصباح ؟  
يموج ، أصبح :

غداً نلتقي

ونادى منادي الجوى والفراق  
وأصبح عيشك مر المذاق

هناك أخي فوق متن الرابي  
نثر النيام ونحيي الرميم  
تضجّ الزلازل في أضلعي  
وشعبي يسير إلى مجده  
فأهتف لست أمل الهتاف

هناك أخي لن نهاب الردى  
نصبّ على الوغد جام الأذى  
أأترك شعبي على بؤسه  
يئن إذا ما ترامى الدجى  
ولكن برغم الأنين الذي

إذا فرق السجن أجسادنا  
وبت تقاسي الضياع به

وصارت لياليك مثل الجحيم  
فلا تأس .. لا تأس مما ترى  
ولا بد أن يستجيب الإله

وأحلامك البيض رهن المحاق  
فلا بد بعد النوى من تلاق  
إذا ما هتفت :

غداً نلتقي

تفطر قلبي بوادي العذاب  
لقد مزق العسف آمالنا  
ولست أعي غير رجع الصدى  
أرى المستبد غداً كل شيء  
ولكن رويدك إني أحس

وماجت به طاغيات الدموع  
وطار الأسى بين تلك الربوع  
وهمس الونى وأنين وجوع  
وذابت حواليه هذى الجموع  
هديرأ يصيح :

غداً نلتقي

هناك أخي حين يبدو الصباح  
لأرجع للشعب حق الحياة  
وأوقد للشعب نار الخلود  
وأحدوهمو في غمار الكفاح  
ففي كل ركن لنا صولة

أناذي الرفاق « أتى موعدي »  
نظيفاً .. طليقاً .. ظهور اليد  
فتهفوا الحشود إلى موقدي  
وعبر الرياض ، وفي المسجد  
فهيا ، وناد :

غداً نلتقي

أتحسب أن طريق الهدى  
لدى السفح تسمع شدو الهزار  
بذلك سار القضاء الحكيم  
فدُسْ فوق شوك .. تقدم .. ولا

ومنعطف الخير سهل العبور ؟؟  
وعند السحاب هدير النسور  
وحكم الزمان وكرّ الدهور  
تنحف .. فهناك سلام ونور



ومرعى خصيب.. وأينك حبيب

وظل .. وزهر

غداً نلتقي

وريح الجنوب أخي قد سرت  
تفتح قلبي لعذب الشذى  
تلوح لعيني دنيا الجمال  
وحلم يبين برغم الضنى  
وصوت من الغيب غنى لنا

فأنعشت الشوق في روحنا  
فماج الحنين ، وفرّ العنا  
ورطب الهوى وظلال المنى  
طليق الأسارير حلو السنا  
هناك .. هناك

غداً نلتقي

١٩٥٧

## الحياة... وامرأة<sup>(١)</sup>

ما زلت أذكر يوم أن أقبلت كالظلّ الحنون  
كانت حياتي لفحة نارية عبر الظنون  
لا شيء أعرفه سوى أشجان ماضي الحزين  
ظمان يغرقني الأسى في أمسيات من أنين  
وأثبتت أنت كأمنيته  
رفقت كأقدس أغنيته

وأضأت دربي يا حبيبة بالسعادة والجمال  
فسبحت في دنيا - كدارات الملائك - من جلال  
أترعت قلبي بالشذى من بعد أن قاسى الملal  
أحببت حتى عاذلي ، ونسيت أحقاد الليال  
والحب يغفر يا فتاه  
الحب من نور الإله

---

(١) الرمز في القصيدة ، والربط بين الحياة والمرأة لا يخفيان على فطنة القارئ... .

وظننت أن شبابي المحروم قد عاف الألم  
وأنا وحبك سوف نمضي لن نزل بنا قدم  
نشدو بأغنية الخلود ولا نفكر في العدم  
وغداً سنسخر من متاهات التعاسة والعدم  
ونظل ننعم بالجمال  
هانين في دنيا الخيال

حتى شربت الطهر من عينيك .. من نبع الحياة  
أحسست أن بمهجتي ظمأً وفي قلبي فلاة  
وعلى شواطئ عمري المسجون نادني الحياة  
هرولت أنشدك المزيد ، وذاب عن قلبي أساه  
فرايت أنك تبخلين  
وذكرت حرمان السنين

ألهبت أحلامي الكسيحة فانتفضت ولم أنم  
طلقت أيام الوجوم ، وعفت أوهام القيد  
وحسبت أن بقابل الأيام ماثور النغم  
لا بأس في قلبي ولا موت الأماني .. لا ألم  
لكن رأيتك مدبره  
وعلى جبينك معذره

فيم إذن كان التلاقي والتراتيل الشجية  
فيم بكائك يا رفيقة في ليالينا الشهية

أحقيقة كان البكاء تيممة النجوى الهنيه ؟  
واها .. كتبنا بالدموع سطور طهر سرمدية  
أترى أكننا واهمين  
في مهرجان من ظنون

كلا .. فيها شفتاي بالماضي وبالذكرى تغني  
وأنا الذي لم يبد في أشواقه طيف التجني  
وفؤادي المشبوب منك ، ولحنك القدسي مني  
روحان جمعنا الهدى ، فالحب أغنيتي وذنتي  
أصبحت في وادي الريب  
لا صدق أعرف لا كذب

وتشابكت في خاطري ، صور التشكك واليقين  
أمسيت كالأعمى يئن بعالم الوهم الحزين  
عادت لياليه الطوال بسمتها الدامي اللعين  
حيران بين ربوعها السوداء موصول الأنين  
وعلى شواطئها البعيدة  
واريت أحلامي الشهيد

وشبابي المجروح لم ترحمه عاصفة القدر  
ظل الطريق ، وروعه مكائد لا تزدجر  
وغدا اللظى المحموم مؤنسه وآهات الضجر

طال المسير حبيبتى .. أواه من طول السفر  
أأعود للذكرى المريره ؟  
نفسي موزعه كسيره

فلتذهبي .. وأنا هنا باقى على عهد الضنى  
فلتذهبي .. يا من فرشت سبيل حبي بالجو  
ما عدت أبكي إذا رحلت ، وهل سيشفيني البكا  
فأقد خلقت لشقوتي ، لليأس في دنيا العنا  
أورثتني اليأس العتيد  
علمتني القلق العنيد

ولسوف أرضى بالظلام ولن أضيق ووحشتي  
أرتاد في دنيا النواح وانتشي من خمرتي  
كأسي التي ملأت أسي وتزودت بالشقوة  
هي سلوتي في عالم أنغامه من آهتي  
وبلا ضجيج أو رنين  
أمضي إلى عشي اللعين

ملآنةٌ روعي بشوقٍ وارتعاشات وجوعٍ  
لكن حذار .. ما لغير الله أسرفت الركوع  
فلتذهبي مغرورة .. لا تحسبي أني خنوع

وغداً .. هنالك .. نلتقي في عالم زاهي الربوع  
الموت برزخه الجميل  
والصفو معدنه الأصيل

هذي الحياة حقيقة شواء كالمسخ القبيح  
بكماء .. تزعم أنها منحت براعات الفصيح  
أنا يا رفيقة عندها حيران كالطير الذبيح  
كالصفقة الحمقاء باعوها بلا ثمن ربيع  
ما أرخص القلب الكبير  
في سوقها القاسي الحقير

فإذا طوى جسدي المغيب وطوقته يد الحفر  
ومضيت للأرض البعيدة لا رفيق ولا سمر  
وغدوت كالخبر القديم يذيه مر العصر  
مثل الملايين التي راحت .. وأغفلها القدر  
فترنمي بالأغنيات  
بشراي أن جاء الممات

فأنا سعيد يا رفيقة يوم أهبط مضجعي  
ستدوب أطماع الحياة ولن تزجر أدمعي  
سينام قلبي بعد أن قاسى وتهدا أضلعي

وحنان روحي المستهام ، وذكريات تفجتي  
فهناك قد مات الشعور  
وتحلل الأمل الجسور

هات اسقني كأس الكتابة واستقر الألمان مني  
وازرع طريقي باللظى والشوك .. بل من كل فن  
واعزف على قيثارة الآلام والأحزان لحن  
يا واهب الأفراح نخذ أفراحك البلهاء غني  
العمر مأساة طويلة  
والمجد ملحمة هزيلة

## صرخة ...

أنا في قبري المهجور قد مزقت أكفاني  
أغرد رغم أغلالي على أطلال أحزائي  
وأهتف بالصباح الطلق في عزم وإيمانٍ  
وقد أصبحت لا أفرق من سوطٍ وسجّانٍ

هنا في عالم الأسوار قد شعشت كاساتي  
ورغم جحيمه القتال ألمح فيه جنّاتي  
وعبر النار والآلام تشرق فيه غيأتي  
أنا ابن النور والإيمان في ليل الأسى العاتي

فما عشنا لكي نندب في حربٍ ضحايانا  
خلقنا من جديب الدهر والتاريخ بستانا  
وقد خطرت كتائباً تروع الإنس والجنانا  
بروح الحق صائلة ، لدين الله فرسانا

أنا الصامد في النكباء تعرفني مياديني  
ومن شوك الأسى المشؤم قد نبتت رياحيني



أنا الأمل الذي يخفق في أرض المساكين  
لقد ساروا على أثري ، وقد طربوا لتلحيني

أنا حرٌّ وإن شابت جلال العيش أسوارُ  
طريق الراحة الخرساء إفناء وإهدارُ  
سأمضي رغم ما ألقاه ، والإقدام إصرارُ  
سأمضي أصنع التاريخ لا أعنو لمن جاروا

## هيا ...

هيا ورائي فالأسى . كالجمر يلفح وجهنا  
والقيد .. يا للقيد !! قد أكلت نضارة عمرنا  
والذل من طول المدى أفى جلالة مجدنا  
هيا .. فصمت المرغمين جريمة في حقنا  
لن تغفر الأجيال زلتنا وأيضاً ديننا  
الأرض دنسها العدو وناشنا في وكرنا  
هيا لنغسل بالدماء حقولنا .. وديارنا

## فهرس

ص	ص
الرحيل ٥٤	كلمة ٧
سراب ٥٧	١١ في الوادي الرهيب
فتى اللد ٦٢	١٨ وردة أمام حجرة الإعدام
٦٦ في طريق الأهوال	٢٢ القلندري الحديد
٧٠ القرية العذراء	٢٥ بائعة الحب
٧٣ عيد ميلاد	٢٧ حوار
٧٨ أغاني الغرباء	٣١ عيد الهجرة
٨١ غداً نلتقي	٣٤ في عيد الأم
٨٤ الحياة وامرأة	٤٠ صوفيات
٩٠ صرخة	٤٤ مر عام
٩٢ هيا	٤٦ فلسطين الجريحة
	٤٨ يا بدوي

## كتب للمؤلف

### روايات

- ١ - الطريق الطويل .
- ٢ - في الظلام .
- ٣ - عذراء القرية .
- ٤ - اليوم الموعود .
- ٥ - رأس الشيطان .
- ٦ - الربيع العاصف .
- ٧ - النداء الخالد .
- ٨ - الذين يحترقون .
- ٩ - أرض الأنبياء .
- ١٠ - طلائع الفجر .
- ١١ - ليل الخطايا .
- ١٢ - ليل العبيد .
- ١٣ - ابتسامة في قلب شيطان .
- ١٤ - الكأس الفارغة .

١٥ - قاتل حمزة .

١٦ - الرايات السوداء .

### مجموعة قصص صغيرة

- ١٧ - موعدنا غداً .
- ١٨ - دموع الأمير ( رجال الله ) .
- ١٩ - العالم الضيق .
- ٢٠ - عند الرحيل .
- ٢١ - عمر يظهر في القدس .

### دراسات

- ٢٢ - اقبال الشاعر الثائر .
- ٢٣ - شوقي في ركب الخالدين .

٢٤ - الإسلامية والمذاهب  
الأدبية .

٢٥ - الطريق الى اتحاد اسلامي .

٢٦ - المجتمع المريض .

٢٧ - أعداء الإسلامية .

### شعر

٢٨ - أغاني الغرباء .

٢٩ - عصر الشهداء .

### مسرحيات

٣٠ - على أسوار دمشق .

### صدر حديثاً

٣١ - دم لفطير صهيون .

٣٢ - أغاني الغرباء .

٣٣ - عصر الشهداء .

٣٤ - إقبال الشاعر الثائر ( طبعة

جديدة ) .

٣٥ - احوال الدين والدولة .

### تحت الطبع

٣٦ - نور الله ( جزءان )

٣٧ - الظل الأسود .

٣٨ - عذراء جاكرتا

٣٩ - مواكب الأحرار .

٤٠ - فارس هوازن .

مطابع دار الكتب  
بيروت - لبنان  
ص.ب ٣٥٥٩